قراءة في الخطاب الأسطوري المغاربي القديم
أسطورة النسر والثعبان أنموذجا

أ.:علي فطحيزة علي
alifethiza2020@gmail.com
جامعة الجزائر 2

ملخص :

الحجاج من إحدى الآليات اللغوية التي ترسخ الخطاب ، للوصول به عمقا وتأويلا لتكشف أبعاده اعتبارا لضوابط ومعايير محكمة ذات ألفاظ لغوية وبلاغية تحتم وجود طرفين أساسيين ، ويتجلى أكثرها في خطابات مقدسة كالأساطير ، لترسخ ذهنيا كمسلمات وحقائق تعرف بالتأويل الهرمينوطيقي ،ويتضح ذلك من خلال أنموذج تطبيقي لخطاب أسطوري أخذناه من كتاب تاريخ العدواني .

الكلمات المفتاحية :

. الحجاج – التأويل . الأساطير – المقدس – الهرمينوطيقى

: **ABSTRCT- -**
This is evidenced by an applied model a mythical discourse that we have taken form the book of history. It is the most important of all ,aggressive

Keywords:
Pilgrims-Interpretation-Themoon-Holy-Herminutics

توطئـة :

منذ آلاف السنين عرفت بلاد الرافدين عدة حضارات متعاقبة ، تجلت بين ثناياها أساطير كانت هي المرجع الأسس لكل الأمم والشعوب، وممالا شك فيه أن الأسطورة تسعى دوما إلى التبليغ والإقناع ،ومن هنا تتضح أهمية مواكبة الحجاج للأسطورة ،إذ أنه يعد ركيزة أساسية لها .

كما يعتبر الحجاج أحد آلاليات اللغوية التي تسهم في الوصول الى أعماق الخطاب، وخبايا أبعاده التأويلية، من خلال مجموعة روابط ومعايير أساسية تتحكم في الملفوظ الحجاجي من جميع جوانبه لغة وبلاغة ...ومهما كان نوع هذا الخطاب فإنه يستوجب بالضرورة حضور طرفين أساسين وهما : المرسل والمتلقي .

ويتجلى الحجاج أكثر في الخطابات المبنية على مرجعية قدسية ، حيث المرسل يسعى جادا إلى إقناع الملتقي ، ومن ثم يرسخها في الذهن كحقائق ومسلمات عن طريق التأويل الهرمينوطيقي .

ومنه يمكننا أن نطرح الإشكال التا لي : ما مدى تجلي الحجاج في الأسطوري ؟ وما هي أبرز أبعاده التأويلية ؟

وللإجابة على هذه الإشكالية اخترنا نموذجا تطبيقيا موسوما بـ :(أسطورة النسر والثعبان) من كتاب تاريخ العدواني حيث لمسنا فيه المدونة المناسبة على اعتبار أنه يحمل بين طياته ما نحن يصدد دارسته وهذا الكتاب يعد من المصادر التاريخية والأدبية المغاربية القديمة .

وقد تناولنا هذا الموضوع من جانبين أولهما نظري تطرقنا من خلاله الى مجموعة من المفاهيم الأساسية ذات الصلة بالموضوع ، وثانيهما تطبيقي حاولتا تحليل الأسطورة ، بذلك على استنباط الآليات الحجاجية ومحاولة الوصول إلى التأويل الهرمينوطيقي و كشف وأبعاده العميقة .

مفهوم الحجاج :

اهتمت الدراسات الحديثة بموضوع الحجاج اهتماما بالغا ، سواء باعتباره مبحثا لسانيا بحتا أو باعتباره مبحثا منطقيا وفلسفيا أو تداوليا ...، وقد كان المقصد الأساسي من وراء هذا الاهتمام هو إعادة بعث قضايا البرهان والجدل والمحاججة في المنطق والبلاغة الحديثة التي نشأت على أنقاض البلاغة القديمة، ممّا يفتح الباب واسعا لتأويل الخطاب بشتى أنواعه ، حيث يجعل التأويل ملازما للحجاج ونتيجة حتمية له .

أما المفهوم اللغوي للحجاج :

فنجد شبه إجماع للمعاجم العربية على مفهومه اللغوي ، حيث جاء في لسان العرب لابن منظور : "يقال حاججته أحاجه حجاجا حتى حججته : أي غلبته بالحجاج التي أدليت بها ، والحجة ، وهو رجل حاجج ، اي جدل ، وفي الحديث : (فحج آدم موسى) : أي غلبه بالحجة[1] ".

فالحجة مرادف للدليل ، والحجاج هو القول البرهان و الدليل عند التخاصم والمقصود منه: " إلزام الخصم و إسكاته[2] .

وأما في مفهومه الاصطلاحي :

فيعرف الحجاج بتقديم الحجج والأدلة المؤدّية إلى نتيجة معينة، والخطاب الحجاجي هو : "خطاب موجه ، وكل خطاب يهدف إلى الإقناع يكون له بالضرورة بعد حجاجي "[3]، ويربط "بيرلمان " الحجاج بالإقناع حيث "يعتبره جملة من الأساليب تضطلع في خطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الإقناع بما نعرضه عليه ،أو الزيادة في حجم هذا الإقناع "[4].

أما من وجهة نظر فلسفية فقد اعتبر أرسطو الحجاج : " السلسلة من الأدلة تفضي إلى نتيجة واحدة ، أو الطريقة التي تطرحها الأدلة[5] "

وقد رأى أبو الوليد الباجي أن الحجاج " يعد علما من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا ، لأنها السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال ، ولولا تصحيح الوضع في الجدل

لما قامت حجة ولا اتضحت حجّة ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم " [6]، وقد ذكر بيرلمان أن الحجاج يتميز بخمسة ملامح رئيسية وهي [7]:

1 – أن يتوجه إلى مستمع .

2– أن يعبّر عنه بلغة طبيعية .

3– مسلماته وبديهياته لاتعد و كونها احتمالية .

4– ألّا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة .

5– نتائجه غير ملزمة (احتمالية غير حتمية) .

مفهوم الأسطورة :

تأخذ الاسطورة معنى جدليا واسعا ـ من حيث اللغة أو المصطلح ـ لم يتفق حوله النقاد والباحثون **لغة** : جاء في لسان العرب "سطر سطر ، والسطر الصف الأول من الكتاب والشجر والنخل نحوها والجمع من كذلك أسطر و أسطار وسطور وأساطير ...والأساطير الأباطيل. والأستطير : أحاديث لا نظام لها " [8].

وجاء في تفسير الطبري للآية 25من سورة الانعام :

((...حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ))

و "الأساطير " جمع "إسْطارة و "أُسطورة " مثل " أفكوهة " و "أضحوكة " = وجائز أن يكون الواحد "أسطارّا مثل " أبيات " ، وأقوال " و"أُقاويل" ، منقولا لله تعالى ذكره : ((وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ)) سورة الطور:2 من " سّطر يّسطر سطرا " [9].

وجاء في المنجد اللغوي :" سطر : ألف الأساطير، سطر القرطاس : رسم عليه خطوطا تحتذيها الكتابة لأجل استقامة السطر وسطر عليه جاءه بأحاديث تشبه الأباطيل والأسطورة أو الأسطيرة جمع أساطير وهي الحديث الذي لا أصل له "[10].

اصطلاحا : ونأخذه كما جاء في المعجم الفلسفي " حيث وردت كلمة MYTH الأصل اليوناني للفظة الأجنبية mythos يعني قصة شعرية وتعرف خطأ بأنها خرافية أو معتقدات

خرافية ، إذ هي تصور شامل عن العالم وعن مكانة الإنسان في الطبيعة ، واللفظة الإنجليزية حديثة العهد فهي صكت منذ أكثر من مائة خمسين(150) عاما"[11] .

وعرفها صاحب المتقن : "هي حكاية أو رواية شعبية أو إنسانية متصلة بحياة إحدى الأمم تهدف إلى تعبير عن بطولة أو قيمة ذات أثر مهم في نفوس الناس أو الأمة وليس لها مؤلف محدد "[12]

وتشترط الباحثة :فضيلة عبد الرحيم ، لتحقيق الأسطورة لا بد من الايمان الجازم والاعتقاد المصاحب لها " الأسطورة موضوع اعتقاد ..."[13]

والأسطورة محل تقاطع وخلاف مع الخرافة وبشروط هي :"ولنميز الخرافة من الأسطورة لابد من فهم شروط وضوابط لابد من توفرها " [14]

ويبقى الخلاف قائما في الفصل كليا بين علاقة الأساطير بالدين والتاريخ واللغة والسحر والشعوذة والبدائية .... وعليه يقول عماد الخطيب :" يصعب الفصل كليا بين الدين والسحر والبدائية وارتباط كل منهما بالأسطورة "[15]

السياق الثقافي لصاحب النص (محمد العدواني):

مولده ونشأته :

تذهب أغلب الروايات أنه عاش بين أواخر القرن السابع عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر ميلادي (17-18 م) تقريبا وهو ما يوافق القرنين الحادي عشر والثاني عشر (11-12هـ)، أما اسمه فمحمد بن محمد اللّجي السوفي، يقول أبو القاسم سعد الله: " أما التقاليد الشعبية فنذكر أن العدواني كان من كبار متصوفة زمانه وأنه دفين الزقم وأن هناك مسجدا يحمل اسمه ربما بني قبله أو كان في الاصل زاوية أو خلوة يتعبد فيها ...وانه قد حج ثلاثين مرة وهو رقم قد يكون مبالغة كبيرة في ظروف ذلك الوقت وقد يكون ذلك الحج المتعدد قد وقع عن طريق المكاشفة والتغيب الصوفي مثل الرحلات التي كان يقوم بها الشيخ البكري في الشام والرحلة الخيالية إلى الهند وبرونو[16] " .

شيوخه وتلاميذه [17]:

وأولهم قدوته ومعلمه الشيخ البكري ، ثم المعلم والمربي عباس الغريب الرّقام عمارة بن محمد والشيخ قاسي بت عسيرة .

أما تلاميذه فلم ترد أسماؤهم إلا صفوان الطرودي .

منزلته العلمية : وحسب رأي الباحثين ومنهم علي غنابزية [18] وأبو القاسم سعد الله ، إذ يتفقان على أهمية كتابه وما يحمل من معلومات تاريخية وأدبية تعتبر مرجعا أساسيا لمنطقة الجنوب التونسي ووادي سوف والواحات .

" إن كتاب العدواني من جهة يسمى بالتاريخ المحلي فهو يؤرخ لحياة القبائل التي استوطنت الجنوب الشرقي من الجزائر والجنوب الغربي من تونس وأصولها العربية ومساراتها من المشرق إلى المغرب وصراعهما ضد الحكام من حفصين وعثمانين ..."[19]

كما اعتبره الشيخ سعد الله مرجعا مهما في الأدب الشعبي بما يحمله من أساطير وحكايات ومغامرات وكرامات حيث شبهه بتغريبة بني هلال أو ألف ليلة وليلة ، وتارة يشبهه بمسرحيات شكسبير[20] .

مؤلفـاتـه :

لم يترك العدواني إلاّ مؤلفا واحدا وهو المشهور بتاريخ العدواني الذي حققه أبو القاسم سعد الله .

أسطورة النسر والثعبان

قراءة وملاحظات :

دلالـة العنوان وأبعاده التأويلية : أسطورة النسر والثعبان

يعتبر العنوان الباب أو العتبة الأولى لولوج النص وأهل العلم قديما قالوا : ((تقرأ الكتب من عناوينها)) ، إذ أننا ومن خلال هذا العنوان (أسطورة النسر والثعبان) ، ترسخ في أذهاننا مرجعيات وخلفيات تقربنا من المعني المقصود من هذا النص ، بل هو أدق من

ذلك ومن خلال تحليلنا للنص سعيا للوصول إلى المقومات الحجاجية التي يحملها هذا الخطاب وبعده ، فخلصنا إلى أن الحجاج يمكن ان يساهم في إقناع المتلقي و التأثير فيه ، وهذا بعد عودتنا للنص : أين أسهب صاحبه وأشبعه بآليات وروابط حجاجية ، امثلت في عنوانه المركب من :

(أسطورة – النسر– و–الثعبان) ، إذ في جانبه النحوي قد أتى على شكل : مضاف + مضاف إليه + عاطف ومعطوف ، فكان المضاف والمضاف إليه (أسطورة النسر) خبر مرفوع لجملة اسمية حذف فيها (المبتدأ وتقديره هذه) وعلى ضوئها نستنتج أهمية العنوان كما سبق ذكره زمنه نقول أنه يحمل طاقة حجاجية تقود المتلقي للغوص في الأبعاد التأويلية ، محاولا الوصول للبنية العميقة لفك الغموض والشيفرات ... ولن يتأت هذا إلاّ بالاطلاع الواسع على نص الأسطورة ، وما تحمله من آليات وروابط حجاجية وظفها الراوي للوصول إلى خطاب مقنع .

الأبعاد التأويلية :

والآلية الحجاجية التي استعان بها الراوي تمثلت في توجيه الخطاب الى فئة معينة من المتلقين ، ونستشف هذا من خلال الأفعال التي وظفها :(تقدموا – طردوا– كانوا – يحتلونه – قام أجبروهم . استقروا– أصبح يتبع – يمنع –يطير يعلن –يحدث –وضعوا ....).

وأغلب هذه الأفعال ماضيا ، وهذا ما ينبأ أنها حكاية وأسطورة من الزمن القديم ، فحرص الراوي على تكريسها وغرسها في النفوس لتتلقاها اعتقادا أو تسليما زان الروابط الحجاجية كحروف العطف (فإنهم – وكان –ولكن ...)

وحروف الجر حضورها قوّيا جدّا ومن ذلك (في هذا – من الوادي – بدورهم –إلى الدوار –في الماء – لأول مرة – عن قريتهم – ومن ناحية – فذهب إلى ... الخ ...)

كما نلاحظ أسماء الإشارة والأسماء الموصولة وظروف المكان والزمان والأفعال ثم أدوات التوكيد والتأكيد والنواسخ ..... إذ تعرف هاته وبما سبقها بمظاهر الاتساق والانسجام (

في هذا العهد –أولاد – قد تقدموا – الذي كانوا – قام هؤلاء – في وسط هذه الحركة من الهجرة – وكان هذا – فإنّ الثعبان – قد أصبح عظيما –حيث والدهما – في وسط – فوق الجمر – وعندئذ طار نحو خيمة – لكن بعد فوات الأوان – قد التهمته النيران....).

وبعد تتبعنا ، لهذه الروابط المستعملة في النص ، نستنتج أنّ الراوي قد أسهب و أسهم في توظيفها خدمة للفكرة العامة التي يحملها الخطاب ، حيث أضيفت على الخطاب مستوى تركيبا غايته الأولى إقناع المتلقي واستمالته قصد التأثير فيه لقبول الفكرة الكامنة وراء الخطاب.

والجمل قد تنوعت بين اسمية وفعلية ، ومن قصيرة و إلى طويلة ، كما كان حضور لشبه الجملة ،أين تراوحت أغلب الجمل القصيرة من أربعة الى عشرة كلمات وشذ عن ذلك جملا هي :

وفي هذا العهد كان أولاد صولة قد تقدموا وطردوا بني أوجانة من الوادي الأبيض الذي كانوا عندئذ ....وعددها (29 كلمة).

أما النسر من جهته فقد كان يطير في الجو فوق الحيوانات ويعلن بصوته عن كل ما كان يحدث بعيدا (وعددها 13كلمة) .

وفي نفس الوقت حاول النسر أن ينقذ أخاه فليلوش فكان يغطس في الماء ويأتي نافضا جناحيه المبلّلين فوق الجمر (وعدد 19 كلمة) وكان هذان الحارسان اليقظان يرجعان كل مساء مع قطعان الماشية إلى الدوار حيث والدهما (وعددها 14).

وقد جمعوا حول الثعبان النائم كميّة هائلة من الحطب وأوقدوا فيه النار وحرقوا الثعبان (وعددها 14 كلمة).

وفي تاغيتس بني أولاد زرارة قرية ووضعوا كل يملكون . (وعددها 12 كلمة).

وسبب هذا الإطناب والطول الملفت للانتباه مرده الدال عنها شدّة لأهمية الوصف وجماليته فتعددت ألوانه من الصفاء والموصف والإضافة والتشبيه ، والبيان والحال والتمييز

والمفعول به والمفعول لأجله، وكذلك النواسخ والظروف ... وكلها تعرف بالفضلة أو القيد ، أما عن الروابط من حروف الجر أو العطف وأدوات التوكيد والجزم والنواصب ....فكلها روابط ضرورية ،تدعى بمظاهر الانسجام والاتساق للنص .

وعن الأسماء والأفعال: فكانت الكلمة للأولى – الأسماء –إذ وصل عددها (111 اسما) وهي توحي بالسكون والجمود والقدم ، إذ نرى الكاتب كأنه يريد أن لا يتغير الحال ،إلى ماهو أسوء ، وهذا لتردي الأوضاع المحيطة به اجتماعيا و اقتصاديا وسياسيا ....

أمّا الأفعال: فكان عددها (51 فعلا) منها 15مضارعة جمعت الفعل العادي والأفعال الخمسة .

(يحتلونه - يرجعان –يملكون –يبتعدوا – يرعى – ينقذ- يغطس يأتي ....).

والأفعال الماضية كانت أكثر حضورا خاصة النواسخ منها كان = 12 مرة + أصبح مرة واحدة .

والباقي 23=(طردوا – قام – استقر –أجبروهم –سمّاه – وضعوا ....).

وكلها تشير وتنبئ عن الحركة والمشاركة والحوار المتبادل ، وهذا هو الطابع المميز للقصة والحكاية ممّا زاد القصّة مرونة وتواصلا ، رغم التكرار الملحوظ .

الضمير: كان له حضور أيضا متنوع من منفصل ومتصل وظاهر ومستتر ، فتارة مع الأسماء وأخرى مع الأفعال ومرات مع الأدوات والحروف والصيغ ....(يحتلونه – بدورهم- من جهته – عن كل ما يحدث بعيدا وكان هذان –أخاه –عليها –هو وأبنائه –قد نبهت –كان عليهم –عنها).

حضور أن المصدرية + فعل مضارع .

(حاول النسر أن ينقذ أخاه) ومحلها الإعرابي جملة المصدر المؤول في محل رفع اسم كان ودلالتها من المفروض الابتعاد عن ذلك قصد النجاة .

الصفة الموصوف :

(الهجرة الإجبارية) : صفة أو نعت مشار إليه بالخصوص (تخصيص) أنّها صارت مألوفة ودلالتها ظاهرة الغارات أو الاعتداء المباغت على القبائل والعروش وهذه حالة سادت المجتمع العربي أثناء عصر الضعف ويشار اليها في التاريخ بالغزو والنهب والقهر ضد الضعاف والمغلوبين على أمرهم .

(الثعبان النائم)صفة أو نعت للثعبان ، أنه متعب أو مرهق ، إذ لا ينام إلا ليلة الجمعة وما يليها وهذا لشدة القيام على الحراسة .

(جناحيه المبلّولين) : صفو للجناحين لشدّة التلل والماء ، وهي توحي بقوة النار وحرارتها فكان الغطس في الماء هو الحل .

وعن شبه الجملة (جار ومجرور).

(وفي هذا العهد ومن ناحية –ومن ناحية –وفي وسط هذه الحركة – جمعوا حول الثعبان – وعندئذ طار فوق خيمة والده ....).

وعند ذكر الحال :

(يأتي ناقصا – رأى ريش النسر محترقا ...)وكلاهما حال مفرده ،وظف لذكر الحالة السيئة التي كان عليها النسر المقهور بالحرق والنار وهو الأمر لفقدان الصديق الحميم (الثعبان).

وعن الازمنة والأيام والظروف نجد (يوم –جمعة – ليلة الجمعة – الليلة – نفس الوقت – مساء – فوق – حيث – عندما – تحت ....).

وعن الأماكن ومعالم البيئة :

(الوادي الأبيض – تاغيتس – جبل شيليا ....).

أما عن أسماء الشخصيات الآدمية كانت شبه معدومة ، إلاّ ما ورد ذكره باسم القبيلة مثل : أولاد سي زرارة – رجل من سلاوة ...).

وهذا ما يؤكد أنها شخصيات خرافية كالنسر والثعبان ، وهنا بعض القوى الغيبية .

السلم الحجاجي :

وقد اخذ مستويات ثلاثة :

السلم الأول : إن الراوي سلك مسلكا نظاميا دقيق من مقدمة دقيقة وهي البداية : (وفي هذا العهد ..)

السلم الثاني : وهي الوقائع والأحداث التي يحكيها النص وتعرف في عصرنا الحالي بصلب الموضوع .

السلم الثالث: الخاتمة وهي نهاية المطاف أو القصة ففيها يصوّر كيف ينتصر البطل مآربه.

أو كيف ينجو بصعوبة و أعجوبة من تلك المخاطر وأحيانا يموت ليكون عبرة أو فداء لمن هو بعده .

الأسلوب :

ما دام النص حكاية سردية من عجائب اسفار الشيخ محمد العدواني يخبرنا فيها عن الاحداث والوقائع من بدايتها إلى نهايتها فإن أسلوبه وصفي خبري ، وقد نجح العدواني في اختياره .

-السّجع :

(وكان هذا إن الحارسان اليقظان يرجعان كلّ مساء مع قطعانه الماشية) .

الجناس : (جناس ناقص)

أشغالهم – منازلهم.

– وكلاهما قد أعطا نغما موسيقيا عذبا ، يريح النفس و يشنف الأذن.

التأكيد والتوكيد :

فإن الثعبان الذي سمّاه والده فيليلوش قد أصبح عظيما .(فهو خبر إنكاري مؤكد بإن + قد ....)

أمّا النسر فقد كان يطير←وهو كتابة عن المثابرة والتحدي ، ونوع التأكيد طلبي .

فنام السلاوة وقد أجمعوا حول الثعبان النائم لحمايته من الحطاب ←فهي كناية إحراقه وهلاكه وهو خبر طلبي .

تمثيل الظاء والضّاد :

الضاد هو سر العربية وجمالها وحيلتها لتباهي به اللغات السامية وكل اللغات العالم على السواء ، ولأهمية وظفه الراوي 6 مرات ، بينما وظف الظاء مرتين فقّط ، وهذا ما يؤكد المقولة الشهيرة ((العربية هي لغة الضاد على الإطلاق)).

حرف الأصالة والبلاغة العربية (الضاد) فقد جاء حضور في ستة مواضع مهمة :

الأبيض . أرضهم – لقضاء أشغالهم – نافضا – وضعوا حضوره ونسبة توظيفه 75 %

الحرف الطارئ والنظر للضاد (الظاء) وكان حضوره ضئيل باستثناء مرتين :

عظيما – اليقظان ونسبة توظيفه 25 %

الرمز والصورة :

إن النص العدواني (أسطورة النسر والثعبان ...) أسطورة هامة تكشف بين ثناياها رموزا وصورا هامة ، تحيلنا إلى الزمن الماضي البعيد – الأساطير – ويمكن ذلك في :

الثعبان : يذكرنا بالأساطير الشرقية القديمة كبلاد ما بين النهرين وبلاد فارس ، الإغريق ، وكيف كان دورها في الحروب وحراسة الجنة والنار وحماية الآلهة والملوك ، فالثعبان رمز القوة والتحدي ، كما صورته ملحمة جلجامش ميثولوجيا الإغريق وما يذكر اسم الثعبان إلا وهو صاحب القوة والعظمة ومن يقتله ويقضي عليه – الثعبان – يعلقون له وسام الإله والعظمة ، كما هو الحال مع آرس (مارس) إله الحرب أو أرطيميس إلهة الصيد .

النسر ويحيلنا ذكره لأسطورة قديمة في شبه الجزيرة العربية أكدها القرآن الكريم في سورة نوح عليه السلام ، والنسر رمز القوة والتحدي والبطولة والفداء ، ودورة في القصة يغنيك عن كل توضيح

الماء : رمز الحياة والتواصل ، فمنه خلق الإنسان وبه يحيا وتحيا كل الكائنات ، والكاتب وظفه في مقام النجدة والخلاص من الاعداء والنار .

النار: رمز الاستئناس والحياة ، وترمز للجن ، كما تعني القوة والعظمة ، والراوي قد وظفها كعامل قوة يشعلن بها ضد الأعداء والخصوم ، فكانت – هي – والماء قوتان متضادتان يرمزان معا لعالمي الغيب والأساطير والحياة (الأمس والجان)

و هاته الآليات التي ذكرتاها كلها مقومات حجاجية استغلها الرّاوي قصد إنجاح فكرته .

خـــاتمـــة

خلاصة القول وبعد هذه الورقة البحثية التي صالت وجالت في ثانيا الموضوع يمكننا أن نستنتج مجموعة من النتائج :

الخطاب الأسطوري يحمل بين طياته مقومات حجاجية يستعين بها صاحب النص قصد الوصول إلى مبتغاه والمتمثل في ايصال فكرة معّينة إلى جميع المتلقين والتأثير فيهم

تحمل الروابط الحجاجية بعدين أساسين : اولهما اتساق النص وانسجامه ، وثانيهما البعد الخفي الذي يقصد من خلاله التأثير والإقناع .

أسطورة (أسطورة الثعبان والنسر) استطاع صاحبها –راويها – الوصول إلى مبتغاه مرتكزا على دعائم حجاجية مثبتة ومقنعة.

الأسطورة : عبارة عن حكاية سردية تحمل جانبا ميتافيزيقيا ،يشد انتباه المتلقي على اعتبار أنّ النفس البشرية عادة ما يميل ونحبّذ الغوص في عالم الغيب والخيال .

الملحق : أسطورة النسر والثعبان

أسطورة النسر والثعبان

وفي هذا العهد كان أولاد صولة قد تقدموا وطردوا بني أوجانة من الوادي الأبيض الذي كانوا عندئذٍ يحتلونه وقام هؤلاء بدورهم بطرد السلاوة من شليا[1] وأجبروهم على التخلي عن أرضهم. وفي وسط هذه الحركة من الهجرة الإجبارية، استقر أولاد سي زرارة في تاغيتس.

ومن ناحية أخرى فإن الثعبان الذي سماه والده فليلوش قد أصبح عظيماً وطويلاً. وكان يتبع في كل يوم قطعان الماشية في المراعي، وكان حضوره يمنع اللصوص من الاقتراب. أما النسر من جهته فقد كان يطير في الجو فوق الحيوانات ويعلن بصوته عن كل ما كان يحدث بعيداً. وكان هذان الحارسان اليقظان يرجعان كل مساء مع قطعان الماشية إلى الدوار حيث والدهما.

وفي تاغيتس بنى أولاد سي زرارة قرية ووضعوا فيها كل ما يملكون. وعندما كان عليهم أن يبتعدوا عنها لقضاء أشغالهم، فإنهم كانوا يتركون منازلهم تحت حراسة الثعبان والنسر. وكان الثعبان فليلوش يرقد عادة كل يوم جمعة والليلة الموالية، وكان هناك رجل من سلاوة يرعى عند أولاد سي زرارة، فذهب إلى إخوانه في القبيلة وحدثهم عن عادات الثعبان. ورحل أولاد سي زرارة لأول مرة عن قريتهم، فقام السلاوة بالهجوم على القرية خلال ليلة الجمعة. وقد جمعوا حول الثعبان النائم كمية هائلة من الحطب وأوقدوا فيه النار وحرقوا الثعبان. وفي نفس الوقت حاول النسر أن ينقذ أخاه فليلوش فكان يغطس في الماء ويأتي نافضاً جناحيه المبللين فوق

(1) جبل شليا أعلى قمة في الأوراس تصل إلى 2312م ومنه تَنْتَدُّ جبال يسكنها العمامرة.

الجمر، غير أن جهوده باءت بالفشل. وعندئذٍ طار نحو خيمة والده وحط عليها. ولما رأى سي زرارة ريش النسر محترقاً أيقن من حدوث النكبة التي حلت بقريته. فأسرع بالركوب على جواده هو وأتباعه ووصل بسرعة إلى عين المكان، ولكن بعد فوات الأوان. فالقرية قد نهبت وفليلوش قد التهمته النيران[1].

(1) ثم يستمر نص فيرو عن أصل اليهود، وذلك بعد السؤال التالي: قلت له ما أصل اليهود؟ وما البلاد التي سكنوها قبل مجيئهم لإفريقية؟ والنص الذي ترجمناه يقع على الصفحات من 155 إلى 162 من مجلة (روكاي) 1868 التي ظهرت فيها ترجمة فيرو لتاريخ العدواني.

ملاحظة: التعاليق التي أضفناها وضعنا أمامها كلمة (المترجم) ولم نترجم كل التعاليق التي وردت في ترجمة فيرو لأنها قائمة على استنتاجات شخصية مستوحاة مما يسميه هو بالتقاليد الشعبية. والمعروف أن مهمة فيرو الأولى هي تثبيت الحكم الفرنسي في الجزائر والبحث عن بقايا المسيحية والرومان بها.

الهوامش :

[1] لسان العرب : ابن منظور ،تح : عبد السلام محمد هارون ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ط1 ، 1997 م ،مج2 مادة حجج ، ص 5.
[2] موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم ، محمد علي التهانوي ،تح : علي دحروج ، مكتبة لبنان ، ناشرون ، لبنان ، ط 1 ، مج1 ، ص 622.

[3] البنية الحجاجية في القرآن الكريم ،سورة النمل أنموذجا ، الحواس مسعودي ، مجلة اللغة والأدب ، جامعة الجزائر ، ع 12 ،1997م ،ص3.
[4] الحجاج في الشعر العربي ، بنيته و أساليبه ، سامية الدريدي ،عالم المكتبات الحديث ، أريد ، الأردن ، 2011 ، ص 21.

[5]- المعجم الفلسفي ، مراد وهبة ، دار الثقافة الجديدة ، مصر،ط 3، 1979م ،ص393.

[6] المنهاج في ترتيب الحجاج ، أبو الوليد الباجي ، تح : عبد المجيد تركي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ،ط3، 2000م ،ص8 .

[7] الحجاج في البلاغة المعاصرة ، محمد الأمين،دار الكتاب الجديدة ،بيروت ، لبنان ،ط1، 2008م ، ص 108.

[8] لسان العرب ، ابن منظور ، مج 2، مادة سطر ،ص 143.

[9] تفسير الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير، ت : محمود محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، د ط ، ت ، مج 13 ، ص 502.
[10] المنجد في اللغة والأعلام ، مجموعة من المؤلفين ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ط 29، 1987 م، جزء اللغة ، ص 332.

[11] المعجم الفلسفي ، مراد وهبة ، دار قباء ، القاهرة مصر ، د ط ، 1988م، ص 61.

[12] المتقن (معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة) ، سمير حجازي ،دار الراتب الجامعية ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت ، ص 141 .
[13] فكرة الأسطورة فضيلة عبد الرحيم ، دار اليازوردي، عمان ، الأردن ، ط1، 2009 م، ص 92.

[14] أولية النص ، طلال حرب ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ن لبنان ، ط1، 1999 م، ص 92.

[15] الأسطورة معيار نقدي ، عماد الخطيب ، دار جهينة للنشر ، عمان ، الأردن ، ط1، 2006م ، ص 11.

[16] تاريخ العدواني ،محمد بن محمد بن عمر العدواني ، ت : أبي القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط 1، 1996م، ص 20.

[17] ينظر المرجع نفسه ، ص 17-43.
[18] ينظر : الشيخ محمد بن عمر العدواني حياته ومآثره ، علي غنابزية ، مطبعة الرمال ، ط1، 2015 ، ص 2-7 .
[19] تاريخ العدواني ، مرجع سابق ، ص 13.
[20] ينظر المرجع نفسه ، ص 13-15.